IUGJIS
Vol 26, No 2, 2018, pp 91 - 123

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2017-11-12)، تاريخ قبول النشر (2017-12-19)



آل البيت الأطهار وعلاقتهم بالصحابة الأبرار

د. نماء محمد البنا [1]،*

د. هيفاء مصطفى الزيادة [1]

[1] قسم أصول الدين –كلية الشريعة – الجامعة الأردنية – عمان – الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: nmbanna@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان حقيقة الصلة بين الصحابة وآل بيت النبي - صلّى الله عليه وسلم- وإزالة الشبهات التي اعترت هذه العلاقة وتحاول تشويهها من قبل المغرضين، فبيّنت المقصود من آل البيت وأنّها تشمل نساء النبي - صلى الله عليه وسلم-، بالأدلة من القرآن والسنة المطهرة.

كما أوضحت بعض مظاهر هذه العلاقة المتينة التي اكتنفت الصحابة وآل البيت، من: التسمية، إلى المصاهرة، إلى المشاركة العملية، والمدح والثناء وغيرها من الصور المشرقة التي ثبتت بالنقل الصحيح، بل وفي كتب الطاعنين والمشككين أنفسهم، كما تطرق البحث لحقيقة الخلاف بينهم، وكيف نفهمه فهمًا صحيحًا.

كلمات مفتاحية: الصحابة، أهل البيت، آل البيت، الرافضة، الشيعة الاثنا عشر الكهف

Relationship Between Prophet's Al Al-Bayt And Al Sahaba

Abstract

This study aims to reflect the reality of the relationship between Al Sahaba and the Prophet's Al al-Bayt - peace be upon him, and remove the suspicions that have occurred in this relationship and trying to distort it by malevolent, it stated the meaning of each house, and they include the wives of the Prophet - peace be upon him, the evidence from the Qur'an and Sunnah.

As it explained some aspects of the strong relationship that has enveloped Al Sahaba and Al al-Bayt, from: label, to intermarriage, to the participation process, and praise and other bright images that have proven by Sahih traditions, but also in the books of those appellants and the skeptics themselves, The research dealt with the fact of disagreement between them and how to understand it.

Keywords: Al Sahaba (Companions), Household, Al al-Bayt, Alraafida, Alshiyat, Alshiyeat alathny eshr

المقدمة

الحمد لله الذي ألَّف بين قلوب المؤمنين، فقال: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال:62-63]، والصلاة والسلام على من أسّس البناء على الأخوة، وعلى آله وصحابته الذين جسّدوا حقيقة الأخوة سلوكاً وفعلاً، وبعد:

فقد تناولت أقلامٌ عديدة طبيعة العلاقة بين الصحابة وآل البيت، وصوَّرتها على أنها علاقة حذر وترقُب حيناً، أو علاقة بغض ونفور حيناً آخر، أو علاقة حب وموالاة، ممّا أدّى إلى شق الصف المسلم إلى فئتين رئيستين: السنة، والشيعة (الرافضة)، ويعتمد الشيعة الروافض فيما ذهبوا إليه إلى أنّ الصحابة ظلموا آل البيت، وسلبوهم حقوقهم، ولم يحفظوا وصية النبي – صلى الله عليه وسلم– في آل بيته، في حين استغلت أقلامٌ مُغرِضة ما شجر بين الصحابة من اختلافات، فصورّت تلك الحقبة على أنّها نَسقٌ من العداء السياسي الشديد المستحكم، والذي أثّر على مسيرة التاريخ الإسلامي كله، ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا نعم أثرت تلك المرحلة على ما بعدها، لكنها استُغلت من قلوب حاقدة وأقلام مشبوهة أثارت صورة الخلاف بين الصحابة وآل البيت على أنه عداء مقيت ذهب بأخلاقيات ذلك الجيل الذي شُهِد له بالخيرية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في بيانها لحقيقة العلاقة بين الصحابة وآل البيت مستندةً إلى الحقائق التاريخية، والنصوص المعتمدة عند الطرفين، في محاولة للوقوف على ما اعترى النفوس من جراء الأحداث المختلفة والفتن المتنوعة، فجاءت هذه الدراسة لترصد وتبين حالة الانسجام والتناغم بين أفراد المجتمع المسلم الأول من الصحابة وآل البيت.

أهداف الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ما المقصود من مصطلح (آل البيت) عند أهل السنة، وعند الشيعة الروافض؟

2- ما المؤشرات والمؤكدات التاريخية والواقعية التي تبيّن حقيقة علاقة الصحابة بالقرابة؟

3- ما حقيقة الخلافات بين الصحابة وآل البيت، وكيف نتعامل معها بعيداً عن التهويل والمبالغة؟

منهجية الدراسة:

لتحقيق الأهداف السابقة اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بحشدها للنصوص الشارحة والموضحة لطبيعة العلاقة بين الصحابة وآل البيت، ثم تحليلها ونقدها بالحجة والدليل العلمي.

الدراسات السابقة:

تطرق لهذا الموضوع عدد من الدراسات، اختص كلٌ منها في جانب دون الآخر، فتميزت عنها هذه الدراسة بالتحليل وبتوظيف هذه الجوانب في مواطنها المناسبة لبيان حقيقة الإختلافات وحجمها، منها:

1- حقوق آل البيت، تقي الدين أحمد بن تيمية (728هـ)، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، وهو كتاب من تسع وستين صفحة، بيّن فيه الإمام ابن تيمية خصائص آل البيت، وأنّ سب الصحابة حرام على آل البيت وغيرهم، وأنّ الشيعة يجهلون بمذهب الإمام علي، تميّزت هذه الدراسة بتوظيفها للحقائق المذكورة في الكتاب، وبيان مظاهر وأبعاد العلاقة بين الصحابة وآل البيت.

2- المنتقى من النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، علاء الدين المدرس، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، الطبعة الأولى، 1420هـ، وهو كتاب من خمس وسبعين صفحة، قدّم له الدكتور عماد الدين خليل وقال أنه من أدق ما كتب في هذا الموضوع ذي الحساسية البالغة.

3- رحماء بينهم، التراحم بين آل بيت النبي عليه السلام وبين بقية الصحابة، صالح الدرويش، القاضي بالمحكمة الكبرى بالقطيف، دار النوادر، 2007م، وهي رسالة لطيفة في ست وثلاثين صفحة، تحدّث فيها الكاتب عن التراحم بين الأصحاب بطريقة وعظية.

خطة الدراسة:

جاء تقسيم هذه الدراسة على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف آل البيت، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: آل البيت في اللغة والاصطلاح عند أهل السنة والشيعة الاثني عشر.
- المطلب الثاني: المفهوم الدلالي لمصطلح آل البيت في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: بيان طبيعة العلاقة بين الصحابة وآل البيت، وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: النسب والمصاهرة.
- المطلب الثاني: الثناء والمدح والطاعة.
- المطلب الثالث: التكريم والتفضيل.
- المطلب الرابع: المشاركة والعمل.
- المطلب الخامس: التوصية والتسمية.

المبحث الثالث: الخلاف بين آل البيت والصحابة وحقيقته، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: القواعد العامة لفقه الخلاف بين الصحابة.
- المطلب الثاني: حقيقة الخلاف بين الصحابة وآل البيت.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: تعريف آل البيت

المطلب الأول: آل البيت في اللغة والاصطلاح عند أهل السنة والشيعة الاثني عشر.

أولًا- في اللغة

الآل في اللغة:

يُرجع علماء اللغة أصل كلمة (آل) إلى الأهل، حيث جاء أنَّ الآل في اللغة: أصلُه (أَهْلٌ) أُبْـدِلَت الهـاءُ هَمْـزَةً فصارتْ: أَأْلٌ توالَتْ همزتان، فأُبدِلت الثانيةُ ألفاً فصار: آل(1)، والآل ما أشرف من البعير والسراب، أو خاص بما في أول النهار، والخشب والشخص وعمد الخيمة، ولا يُستخدم إلا فيما شرف غالبًا(2)، والآلُ: أَطْرافُ الجَبَلِ، وقد عُرِّفت الآل أنها الأهل والأتباع؛ فقد جاء أنَّ الآلُ: أَهْلُ الرَّجُلِ وعِيالُه، وأَيْضا: أَتْباعُه وأولياؤُه، وَمِنْه الحَدِيث: "سَلْمانُ منَّا آلَ البيتِ"3، و قَالَ اللهُ عزَّ وجلّ {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} [آل عمران: 11]، وَقَالَ ابنُ عرفَة: يَعْنِي مَن آلَ إِلَيْهِ بدِينٍ، أَو مَذْهبٍ أَو نَسَبٍ، وَمِنْه قولُه تعالَى {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: 46] (4).

وآل الرجل: أهله(5)، وقيل: أهله وعياله(6)، وقيل: أتباعه(7)، ويخصُّون بالآل: الأشرف الأخص دون الشائع الأعم(8). وآل النبي- صلى الله عليه وسلم-: من اتبعه، قرابة كان أو غير قرابة. وآله: ذو قرابته متبعا كان أو غيـر متبـع. وقيل الآل والأهل واحد(9).

ثانيًا- آل البيت في الإصطلاح:

أ) آل البيت عند أهل السنة:

ذهب العلماء في المقصود بآل النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى ثلاثة أقوال، على النحو الآتي:

1- من اتبعه أي أهل دينه.

2- أهله وأزواجه.

3- قرابته الذين يتفرد بهم عن غيرهم.

1- الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ص:6855)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص:1245).

2- الفيروز آبادي، القاموس، (ص:1245).

3- الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة/ ذكر سلمان الفارسي، رضي الله عنه (ج691/3)، حديث رقم: 6539، وعلّق عليه الذهبي بقوله: سنده ضعيف، والطبراني: المعجم الكبير، (212/6)، حديث رقم: 6040.

4- الزَّبيدي، تاج العروس، (ج35/28).

5- ابن منظور، لسان العرب، (ج28/11).

6- الرازي، معجم مقاييس اللغة، (ص:20).

7- المصدر السابق.

8- ابن منظور، لسان العرب، (ج28/11).

9- الأزهري، تهذيب اللغة، (ج200/5).

ذكرنا أنَّ (الآل) تُطلق ويُراد بها الزوجة، وتُطلق ويُراد بها أهل بيت الرجل، والسياق هو الذي يدلُّ على المعنى المراد تحديدًا منها، وآل محمد– صلى الله عليه وسلم– **تُطلق ويراد بها: أهله وأزواجه– صلى الله عليه وسلم–**، فقد جاء أنَّ "الشافعي سُئل عن قول النبي– صلى الله عليه وسلم–: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، من آل محمد؟ فقال: من قائل: آله: أهله وأزواجه، كأنَّه ذهب إلى أنَّ الرجل يقال له: أَلَكَ أهل؟ فيقول: لا، وإنّما يعني أنَّه ليس له زوجة، قال الشافعي: وهذا معنى يحتمله اللِّسان، ولكنه معنى كلام لا يُعرف إلا أن يكون له سبب من كلام يدل عليه، ولك أن يُقال للرجل: تزوجت؟ فيقول: ما تأهّلت. فيُعرف بأوّل الكلام أنه أراد: ما تزوجت. أو يقول الرجل: أجْنبت من أهلي، فيُعرف من الجنابة إنما تكون من الزوجة. فأمّا أن يبدأ الرجل فيقول: أهلي ببلد كذا فانا أزور أهلي، وأنا كريم الأهل، فإنما يذهب الناس في هذا إلى: أهل البيت له"(10).

وتُطلق ويُراد بها: أهل دين محمد– صلى الله عليه وسلم– أي: أتباعه، قال الشافعي:" وقال قائل: آل محمد: أهل دين محمد، ومن ذهب إلى هذا أشبه أن يقول: قال الله لنوح عليه السلام: (احْمِلْ فِيها مِن كُلٍّ زَوْجَين اثْنَيْن وأَهْلَك) [هود:40]، وقال نوح: (ربِّي إنّ ابْني من أَهْلي)[هود:45]، فقال تبارك وتعالى: (إنّه لَيس من أَهْلك) [هود:46] أي: ليس من أهل دينك، قال الشافعي: والذي نذهب إليه في معنى الآية أنَّ معناها: إنّه ليس من أهلك الذين أمرناك بحملهم معك، فإن قال قائل: وما دلّ على ذلك؟ قيل: قوله: (وأَهْلَك إلاّ من سَبَق عليه القَوْلُ)، فأعلمه أنَّه أمره بأن يحمل من أهله من لم يسبق عليه القول من أهل المعاصي، ثم بيَّن ذلك فقال: (إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِح)(11).

وتُطلق ويُراد بها: قرابة الرجل الذين ينفرد بهم عن غيرهم، قال الشافعي:" وذهب ناسٌ إلى أنَّ آل محمد: قرابته التي ينفرد بها دون غيرها من قرابته.. فلمّا قال: (إنَّ الصَّدقة لا تَحِلّ لمحمد وآل محمد)[12]، دلَّ على أنَّ آل محمد هم الذين حُرِّمت عليهم الصَّدقة وعُوِّضوا منها الخُمس، وهم صليبة بني هاشم، وبني عبد المطلب، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيّه صلى الله عليه وسلم"(13).

ب) آل البيت عند الشيعة الاثني عشرة:

تكادُ تُجمع المصادر الشيعية على أنّ علي، وفاطمة، والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، قطعًا من آل البيت، وتجزم أنَّ زوجاته لسن من آل البيت وبالتالي عدم عصمتهم(14)، يقول القمي نقلًا عن الكسائي: "وقد ثبت من طرق عديدة صحيحة أنَّ رسول الله– صلى الله عليه وآله– جاء ومعه علي، وفاطمة، وحسن وحسين عليهم السلام، قد

10– المصدر السابق.

11– المصدر السابق.

12– أخرجه الإمام مالك في الموطأ، الصدقة/ ما يكره من الصدقة، (ج1456/5)، حديث رقم: (3665)، بلفظ: «لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ».

13– المصدر السابق، (ج201/5).

14– وأيضًا جاء في مجموعة الرسائل للكلبايكاني (ج21/1):" يُدفع توهم شمول الآية لغير أهل البيت(عليهم السلام) ممّن ثبت عدم عصمتهم كأزواج النبي– صلى الله عليه وآله–".

أخذ كلّ واحد منهما بيد، حتى دخل فأدنى عليًا وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنًا وحسينًا كلُّ واحد على فخذه، ثم لفَّ عليهم كساءً، ثم تلا هذه الآية: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، قال النبهاني: قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال: إنّك من أزواج النبي، وإنّك لعلى خير"[15].

وفي (تأويل الآيات) لشرف الدين ضم معهم الرسول- صلى الله علي وسلم- فقال: " و"أهل البيت": محمد، وعلي وفاطمة، والحسن، والحسين"[16].

بينما يُضيف إليهم بعض علماء الشيعة تسعًا من أبناء الحسين- رضي الله عنهم أجمعين-، حيث يُورد الطاوس رواية جاء فيها: "أيها الناس أتعلمون أنَّ الله أنزل في كتابه: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، فجمعني وفاطمة، وابني الحسن والحسين، ثم ألقى علينا كسائه، وقال: " اللهم هؤلاء أهل بيتى ولحمتي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"، فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت إلى خير، إنّها نزلت فيّ، وفي أخي، وفي ابني، وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها أحد غيرنا، فقال كلهم: نشهد أنّ أم سلمة حدثتنا بذلك، فسألنا رسول الله فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة"[17].

وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فقال إنّها تشمل الأئمة – عند الشيعة- ومن دخل في ولايتهم، فعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزوجل: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا} [نوح: 28] يعني الولاية، ومن دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء عليهم السلام، وقوله: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، يعني الأئمة عليهم السلام وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النبي- صلى الله عليه وآله-"[18]، ويؤيده في ذلك الفيض الكاشاني"[19].

ج) الراجح في المقصود بآل البيت

رأينا أن الآراء تتمحور في دلالة "أهل البيت" حول المراد بهم في قوله تعالى { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، ويمكن إجمالها بهذه الأقوال:

- أنّ المراد هو أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- خاصة.
- أنّ المراد هو علي، وفاطمة، والحسن والحسين- رضي الله عنهم أجمعين- (اتفاقًا)، أي اتفقت كل الفرق الشيعية على دخول هؤلاء الأربعة حصرًا، وعند عدد من علماء السنة لكن ليس حصرًا، وأضاف علماء شيعة آخرون للآل، إلّا أنّهم متفقون كلهم على استثناء أزواجه- صلى الله عليه وسلم-.
- أنّ المراد هو الأئمة الإثنا عشر المعصومون.

15- القمي، الكنى والألقاب، (ج249/4).
16- الحسيني، شرف الدين، تأويل الآيات، (ج32/3).
17- الطاووس، التحصين، (ص:104).
18- الكليني، الكافي، (ج473/2).
19- الكاشاني، التفسير الصافي، (ج232/7).

- أنّ المراد الأهل والأزواج[20] بمعنى من تحرم عليهم الصدقة؛ وهم أزواجه وذريته وكلّ مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب[21].

وممّن قال أنّ المراد في الآية هنّ نساء النبي- صلى الله عليه وسلم-: ابن عباس- رضي الله عنهما-، وقد صرّح بهذا عندما قال:" نزلت في نساء النبي- صلى الله عليه وسلم- خاصة"[22]، وعكرمة حيث يقول: "من شاء باهلتُه أنّها نزلت في أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم-"[23]، وعروة بن الزبير يقول في تفسيره للآية: " يعني أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- نزلت في بيت عائشة"[24]، وابن السائب[25]، وعطاء، والكلبي، وسعيد بن جبير كما ذكر الشوكاني[26].

وذهب إلى ذلك من علماء التفسير: مقاتل في تفسيره، حيث يقول بعد ذكر أهل البيت الواردة في الآية:" يعني نساء النبى- صلى الله عليه وسلم- لأنّهنّ فى بيته" [27]، وابن كثير إذ يقول:" وهذا نصٌّ في دخول أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- في أهل البيت هاهنا؛ لأنّهنّ سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا، إمّا وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح"[28].

والقرطبي حيث يقول:" هذه الآية تعطى أنّ زوجة الرجل من أهل البيت، فدلّ هذا على أنّ أزواج الأنبياء من أهل البيت، فعائشة- رضى الله عنها- وغيرها، من جملة أهل بيت النبي- صلى الله عليه وسلم- ممّن قال الله فيهم: {وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، ودليلهم اللغة والسياق، وقول ابن عباس، وعكرمة خصوصًا"[29].

ويكاد يجتمع أصحاب القول الثاني باعتمادهم على رواية أم المؤمنين أم سلمة، التي جاء فيها " أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَلَّلَ[30] عَلَى الْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَعَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ كِسَاءً، ثُمَّ قَالَ:" اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا" فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ". قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ أَحْسَنُ شَيْءٍ رُوِيَ فِي هَذَا الْبَابِ[31]. إلّا أنّ روايات الحديث عند

20- ابن الجوزي، زاد المسير (ج6/381).
21- العبّاد، عبد المحسن، فضل أهل البيت وعلو مكانتهم، (ص:6).
22- السيوطي، الدر المنثور (ج6/603).
23- المصدر السابق.
24- المصدر السابق.
25- ابن الجوزي، زاد المسير، (ج6/381).
26- الشوكاني، فتح القدير، (ج4/395).
27- ابن حيان، تفسير مقاتل بن سليمان، (ج3/82).
28- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج6/410).
29- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(ج09/71).
30- غطا وألبس، يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج1/289).
31- الترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن/ ومن سورة الأحزاب، (ج12/372)، حديث رقم:3205، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

الشيعة تختلف في إضافات معينة للرواية، مثل ما ذكرته سابقًا أنّه أجاب أم سلمة رضي الله عنها:" إنّك من أزواج النبي"، ويخلصون بذلك أنّ زوجاته لسن مشمولات في الحديث، وبالتالي لسن من آل البيت.

ونقل البغوي هذا القول عن أبي سعيد، ومجاهد، وقتادة حيث يقول:" وذهب أبو سعيد الخدري، وجماعة من التابعين، منهم مجاهد، وقتادة، وغيرهما: إلى أنّهم عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين"[32].

وممّن قال إنّ المراد بأهل البيت: الحسن، والحسين، وعلي، وفاطمة خاصّة: الكلبي[33] في إحدى المرويات عنه، واحتجوا بقوله تعالى: { لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ} [الأحزاب: 33]: بالميم، ولو كان للنساء خاصة لكان"عنكنّ ويطهركنّ"، وهو ما ذهب إليه الشيعة، إذ ينقل الألوسي رأي الشيعة في أهل البيت فيقول:" وأخبار إدخاله – صلى الله تعالى عليه وسلم- عليًا وفاطمة، وابنيهما – رضي الله تعالى عنهم- تحت الكساء، وقوله –عليه الصلاة والسلام-:" اللهم هؤلاء أهل بيتي"، ودعائه لهم، وعدم إدخال أم سلمة، أكثرُ من أن تحصى، وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأيّ معنى كان البيت، فالمراد بهم: من شملهم الكساء، **ولا يدخل فيهم أزواجه،** وقد صرح بعدم دخولهن من الشيعة: عبدالله المشهدي، وقال: المراد من البيت بيت النبوة، ولا شكّ أنّ أهل البيت لغة شاملة للأزواج، بل وللخدَّام من الإماء اللائي يسكن في البيت أيضًا، وليس المراد هذا المعنى اللغوي بهذه السعة بالاتفاق، فالمراد به: آل العباءة الذين خصّصهم حديث الكساء، وقال أيضًا: إن كون البيوت جمعًا في (بيوتكن)، وإفراد البيت في (أهل البيت)، يدلّ على أنّ بيوتهن غير بيت النبي"[34].

والظاهرُ أنّ علماء الشيعة بعد ذلك اعتمدوا أنّ المقصود بآل البيت: الأئمة الإثنا عشر؛ فهم علي، وولداه- رضي الله عنهم جميعًا-، والتسعة من نسل الحسين، يقول الورداني:" إنّ آل البيت في تعريف الشيعة هم فئة محدودة من نسل الرسول- صلى الله عليه وآله-، خصتهم الروايات الواردة على لسانه، وقَصَدهم النص القرآني (آية التطهير)، وهم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، ثم تسعة آخرون من نسل الحسين، وهذه الفئة هي المقصودة بالعصمة لارتباطها بدورها ورسالتها بعد الرسول، وليس كلّ من ينتسب لآل البيت يعتبر معصومًا، كما قد يتصور بعض السطحيين ممّن ليس لهم دراية بالرؤية الشرعية لآل البيت"[35].

وممّن قال إنّ أهل **بيته تشمل أزواجه وأقرباءه:** الصحابي زيد بن أرقم عندما سُئِل في الحديث الذي أخرجه مسلم عنه- رضي الله عنه-، أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال: "وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ

32- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (ج350/6).

33- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج182/14).

34- الألوسي، روح المعاني، (ج15/22).

35- الورداني، صالح، عقائد السنة وعقائد الشيعة، (ص:211).

أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاس"[36].

والرأي الأخير هو الرأي الراجح عند غالب علماء السنة، فقد رجحه القرطبي عندما قال:" والذي يظهر من الآية أنّها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنّما قال: "ويطهركم"، لأنّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعليًا وحسنًا وحسينًا كانوا فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقتضت الآية أنّ الزوجات من أهل البيت، لأنّ الآية فيهنّ، والمخاطبة لهنّ يدلّ عليه سياق الكلام"[37]. وممّن قاله أيضًا الزجّاج، حيث نقل عنه ابن الجوزي ذلك فقال: " وحكى الزجاج أنّهم نساء رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، والرجال الذين هم آله، قال: واللغة تدلّ على أنها للنساء والرجال جميعًا، لقوله: (عنكم) بالميم، ولو كانت للنساء لم يجز إلّا (عنكن) (ويطهركن)"[38]، وهو ما يُفهم من كلام البغوي عندما قال:" وفيه دليلٌ على أنّ الأزواج من أهل البيت.. وأراد بأهل البيت: نساء النبي- صلى الله عليه وسلم- لأنهنّ في بيته"[39]، ويُفهم أيضًا من كلام الزمخشري إذ يقول:" و{أَهْلَ البيت} نصبٌ على النداء، أو على المدح، وفي هذا دليلٌ بيّن على أنّ نساء النبي- صلى الله عليه وسلم- من أهل بيته"[40]، وشبيه هذا تماما ما قاله النسفي[41]، وأبو السعود[42]، والبيضاوي[43]، والرازي[44]، ودليلهم ما احتج به الطرفان.

ومن أبلغ الترجيحات ما حرّره ابن عاشور حيث يقول:" و{أَهْلَ الْبَيْتِ}: أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم-، والخطاب موجّه إليهنّ، وكذلك ما قبله وما بعده لا يخالط أحدًا شك في ذلك"[45].

وقد استند كل فريق منهم إلى أدلة يجمع بينها حديث الكساء الذي رواه الترمذي عن عطاء بن أبي رباح، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، رَبِيبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]، فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي،

36- مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/ باب: من فضائل علي رضي الله عنه، (ج1873/4)، حديث رقم:2408 .
37- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج183/14).
38- ابن الجوزي، زاد المسير، (ج382/6).
39- البغوي، معالم التنزيل (ج190/4).
40- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ج325/5).
41- النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (ج305/3).
42- العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (ج103/7).
43- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (ص:373).
44- الرازي، مفاتيح الغيب، (ج350/12).
45- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج21/264-248).

فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ "[46]، قال ابن عاشور: ولم يسمِّه الترمذي بصحة، ولا حسن، ووسمه بالغرابة[47].

وفي "صحيح مسلم" عن عَائِشَةَ: " خَرَجَ النَّبِيُّ- صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ[48]، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: " {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33]"[49]. وفي محاولة للتوفيق بين أنّ أزواجه- صلى الله عليه وسلم- داخلون أم لا بناء على ظاهر هذه الرواية يقول ابن عاشور:" فمحمله أنّ النبي- صلى الله عليه وسلم- ألحق أهل الكساء بحكم هذه الآية، وجعلهم أهل بيته، كما ألحق المدينة بمكة في حكم الحُرْمِيّة بقوله: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَأَنَا أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا"[50].. وكأنّ حكمة تجليلهم معه بالكساء؛ تقوية استعارة البيت بالنسبة إليهم تقريبًا لصورة البيت بقدر الإمكان في ذلك الوقت، ليكون الكساء بمنزلة البيت، ووجود النبي- صلى الله عليه وسلم- معهم في الكساء كما هو في حديث مسلم، تحقيق لكون ذلك الكساء منسوبًا إليه، وبهذا يتضح أنّ أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- هنّ آل بيته بصريح منسوب إليه بذلك الآية، وأنّ فاطمة وابنيها، وزوجها، مجعولون أهل بيته بدعائه أو بتأويل الآية على محاملها، ولذلك هم أهل بيته بدليل السنة وكل أولئك قد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا بعضه بالجعل الإلهي، وبعضه بالجعل النبوي، ومثله قول النبي- صلى الله عليه وسلم- : "سلمان منّا أهل البيت"[51]"[52].

ويتابع ابن عاشور معلقًا على استناد الشيعة على الحديث ذاته لإخراج زوجات النبي- صلى الله عليه وسلم- من آل البيت فيقول:" وقد تلقف الشيعة حديث الكساء، فغصبوا وصف أهل البيت وقصروه على فاطمة وزوجها وابنيهما عليهم الرضوان، وزعموا أنّ أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- لسن من أهل البيت، وهذه مصادمة للقرآن بجعل هذه الآية حشوًا بين ما خوطب به أزواج النبي، وليس في لفظ حديث الكساء ما يقتضي قصر هذا الوصف على أهل الكساء، إذ ليس في قوله: "هؤلاء أهل بيتي" صيغة قصر، وهو كقوله تعالى: {إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي} [الحجر: 68]، ليس معناه ليس لي ضيفًا غيرهم، وهو يقتضي أن تكون هذه الآية مبتورة عمّا قبلها وما

46- الترمذي، سنن الترمذي، باب ومن سورة الأحزاب، (ج351/5)، حديث رقم: (3205)، وقال عقبة: هو حديث غريب من حديث عطاء، عن عمر بن أبي سلمة.

47- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج250/21).

48- الموشي وَسُميّ مرحلًا لِأَنّ عَلَيْهِ تصاوير الرّحال وَمَا أشبههَا، يُنظر: ابن الجوزي، غريب الحديث (ج387/1).

49- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب: فضائل أهل بيت النبي- صلى الله عليه وسلم- ، (ج1883/4)، حديث رقم:2424.

50- أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، أبواب المناقب/ ما جاء في فضل المدينة، (ج205/6)، حديث رقم: 3922، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

51- سبق تخريجه صفحة (5).

52- ابن عاشور، التحرير والتنوير (ص: 250).

بعدها، ويظهر أنّ هذا التوهم من زمن عصر التابعين وأنّ منشأ قراءة هذه الآية على الألسن دون اتصال بينها وبين ما قبلها وما بعدها،

ويدلُّ لذلك ما رواه المفسرين عن عكرمة أنّه قال: " من شاء باهلتُه أنّها نزلت في أزواج النبي– صلى الله عليه وسلم–"، وقال أيضاً: " ليس بالذي تذهبون إليه، إنّما هو نساء النبي– صلى الله عليه وسلم–"، وأنّه كان يصرخ بذلك في السوق، وحديث عمر بن أبي سلمة صريح في أنّ الآية نزلت قبل أن يدعو النبي الدعوة لأهل الكساء، وأنّها نزلت في بيت أم سلمة،

وأمّا ما وقع من قول عمر بن أبي سلمة أنّ أم سلمة قالت: وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ»[53]، فقد وهم فيه الشيعة فظنّوا أنّه منعها من أن تكون من أهل بيته، وهذه جهالة لأن النبي– صلى الله عليه وسلم– إنّما أراد ما سألته من الحاصل لأنّ الآية نزلت فيها وفي ضرائرها فليست هي بحاجة إلى إلحاقها بهم، فالدعاء لها بأن يذهب الله عنها الرجس ويطهرها دعاء بتحصيل أمر حصل، وهو مناف بآداب الدعاء، كما حرره شهاب الدين القرافي في الفرق بين الدعاء المأذون فيه والدعاء الممنوع منه[54]، فكان جواب النبي– صلى الله عليه وسلم– تعليماً لها، وقد وقع في بعض الروايات أنّه قال لأم سلمة:" **إِنَّكِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ** "[55]، وهذا أوضح في المراد بقوله: "إنّك على خير"،

ولما استجاب الله دعاءه كان النبي– صلى الله عليه وسلم– يُطلق أهل البيت على: فاطمة وعلي وابنيهما، فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك أنّ رسول الله– صلى الله عليه وسلم– كان يمّر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: "الصلاة يا أهل البيت {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} "، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه[56]"، انتهى هنا كلام ابن عاشور[57]، وفيه توجيهات موفقة للآية وأقواها: أنّ الآية نزلت قبل حديث الكساء.

المطلب الثاني: المفهوم الدلالي لآل البيت في القرآن الكريم والسنة النبوية:

يقول الزبيدي في معرض قوله عن الآل[58]: الآلُ : أَهْلُ الرَّجُلِ وعِيالُه، أيضاً: أَتْباعُه وأولياؤُه، ومنه الحديث: "سَلْمانُ منَّا آلَ البيتِ"[59]، قال اللّهُ عزَّ وجلّ: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} [آل عمران: 11]، وقال ابنُ عرَفَة: يعني مَن آلَ إليه

53– أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، في أبواب تفسير القرآن/ ومن سورة الأحزاب (ج351/5) حديث رقم: 3205، وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

54– ينظر: القرافي، الفروق (ج301/4).

55– أخرجه الطحاوي: شرح مشكل الآثار، (ج238/2)، حديث رقم: 765.

56– أخرجه الترمذي: سنن الترمذي، في أبواب تفسير القرآن/ ومن سورة الأحزاب (ج352/5)، حديث رقم: 3206.

57– ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج248/21–264).

58– الزبيدي، تاج العروس، (ص:6855– 6859).

59– سبق تخريجه صفحة (5).

بدِينٍ أو مَذْهبٍ أو نَسَبٍ، ومنه قولُه تعالَى: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } [غافر: 46]، وقولُ النبي – صلّى اللّه عليه وسلّم–: " لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لمُحَمَّدٍ ولا لآلِ مُحَمَّدٍ "[60]، وسُئلَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: مَن آلكَ؟ فقال: " آلُ عَلِيٍّ وآلُ جَعْفَر وآلُ عَقِيلٍ وآلُ عبّاس"[61]، وكان الحسنُ – رضي اللّه عنه– إذا صلَّى على النبي – صلّى اللّه عليه وسلّم– قال: " اللهُمَّ اجْعَلْ صلَوَاتِكَ وبَركاتِكَ على آلِ أحْمَدَ"، يُرِيدُ نَفْسَه ألا تَرَى أن المَفْرُوضَ مِن الصَّلاة ما كان عليه خاصَّةً لقولِه تعالَى: " يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسليماً" [الأحزاب:56]، وما كان الحسنُ لِيُخِلَّ بالفَرضِ، وقال أَنسٌ – رضي الله عنه– : سُئِل رسولُ اللّهِ – صلَّى اللّه عليه وسلَّم–: مَن آلُ مُحَمَّدٍ؟ قال: " كُلُّ تَقِيٍّ "[62].

..أَهْلُ الرَّجُلِ: عَشِيرَتُه وذَوُو قُرباه، ومنه قولُه تعالَى: " فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وحكَماً مِنْ أَهْلِهَا" [النساء:35]. وفي بعض الأخْبار: إن للّه تعالَى مَلَكاً في السَّماء السابعةِ تَسبيحُه: سُبحانَ مَن يَسُوقُ الأهلَ إلى الأَهْلِ، الأَهْلُ للرَّجُلِ: زَوْجَتُه ويدخلُ فيه الأولادُ، وبه فُسِّر قولُه تعالَى: " وَسَارَ بِأَهْلِهِ" أي: زوجتِه وأولادِه كأهْلَتِهِ بالتاء، الأَهْلُ للنَّبي – صلّى اللّه عليه وسلّم–: أزواجُه وبَناتُه وصِهْرُه علي – رضي اللّه عنه– أو نِساؤُه، وقيل: أَهْلُه: الرجالُ الذين هم آلُه ويدخلُ فيه الأحفادُ والذّرّيّاتُ، ومنه قولُه تعالَى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه:132]، وقولُه تعالَى: " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ" [الأحزاب: 33]، وقولُه تعالَى: " رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عليكُم أَهْلَ الْبَيتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " [هود:73].

والأَهْلُ لِكُلِّ نَبِيٍّ: أُمَّتُهُ وأَهْلُ مِلَّته، ومنه قولُه تَعالَى: { وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: 55]، وقال الرَّاغِبُ وتَبِعه المُناويُّ: أَهْلُ الرَّجُلِ: مَن يَجمعُه وإيّاهم نَسَبٌ أو دِينٌ أو ما يَجْرِي مَجراهُما؛ مِن صِناعةٍ وبَيتٍ وبَلَدٍ فأَهْلُ الرجُلِ في الأصل: مَن يَجمعُه وإيَّاهُم مَسْكَنٌ واحِدٌ، ثمّ تُجُوِّزَ به فقيل: أهلُ بَيْتِه: مَن يَجْمَعُه وإيّاهُم نَسَبٌ أو ما ذُكِر، وتُعُورِفَ في أُسرةِ النبيِّ –صلّى اللّه عليه وسلّم– مُطْلَقاً ".

وقد جاءت الآيات والأحاديث لتدلل على دخول الزوجة في الأهل منها قوله تعالى: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هود: 72، 73]، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (31) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ

60- أخرجه الإمام مالك في الموطأ، الصدقة/ ما يكره من الصدقة، (ج1456/5)، حديث رقم: (3665)، بلفظ: «لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ».

61- رواه مسلم، الصحيح، فضائل الصحابة/ فضائل علي بن أبي طالب، (ج1873/4)، حديث رقم (2408)، بلفظ: (.. ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس..).

62- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب صفة الصلاة/ باب من زعم أن آل النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل دينه عامة، (ج218/2)، حديث رقم: 2873، وقال: "وهذا لا يحل الاحتجاج بمثله، نافع السلمي أبو هرمز من بصرى، كذبه يحيى بن معين، وضعفه أحمد بن حنبل وغيرهما من الحفاظ وبالله التوفيق".

مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: 31 – 34]، وقوله تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ} [النمل: 56 – 58].

ومن السنة النبوية أدلة عديدة تشهد لذلك: فعَنْ أَنَسٍ– رضى الله عنه– أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ– صلى الله عليه وسلم– بِخُبْزِ شَعِيرٍ، وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ[63]، وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ– صلى الله عليه وسلم– دِرْعًا لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيرًا لأَهْلِهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ– صلى الله عليه وسلم– صَاعُ بُرٍّ وَلاَ صَاعُ حَبٍّ، وَإِنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ [64]».

وعَنْ عَائِشَةَ– رضى الله عنها– قَالَتْ: " مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ– صلى الله عليه وسلم– مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ"[65] .

ويقول يزيد بن حيان: انطلقت أنا وحصين بن سبرة، وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا؛ رأيت رسول الله– صلى الله عليه و سلم– وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله – صلى الله عليه و سلم–، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله – صلى الله عليه و سلم–، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمًا – بين مكة والمدينة– فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال:" أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به"،– فحث على كتاب الله ورغب فيه– ثم قال:" وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكنّ أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كلّ هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم"[66].

63– الإهالة: الدسم، والسنخة: المتغيرة، يُقَال: سنخ الطَّعَام وذنخ: إِذا تغير. ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث (ج503/1).

64– البخاري: صحيح البخاري، البيوع/ شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة، (ج56/3)، حديث رقم: 2069.

65– البخاري: صحيح البخاري، الأطعمة/ ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون، (ج75/7)، حديث رقم: 5416.

66– مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة/ من فضائل علي رضي الله عنه، (ج1873/4)، حديث رقم: 2408 .

وعن عائشة قالت: "إن كنّا آل محمد – صلى الله عليه و سلم– لنمكثُ شهرًا ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء"[67]. فمدلول استخدام القرآن والسنة للفظة الآل، تؤكد بلا نزاع دخول زوجاته– صلى الله عليه وسلم– فيهم.

المبحث الثاني: أبعاد ومظاهر توضح العلاقة بين الصحابة وآل البيت:

إنّ هناك جهوداً مبذولة، ومساع متواصلة من قبل أعداء الأمة لتشويه تاريخها، وبتر الصلة بين الحاضر والماضي لطمس معالم المستقبل. فصوروا تاريخها على أنه تاريخ فتن وحروب، وعصبية وطائفية، كل ذلك كي يحتقر المسلمون تاريخهم ورجالاتهم وعظمائهم، وعلى رأسهم الصحابة الكرام – في الوقت الذي تتغنى فيه كل شعوب العالم وتفتخر بتاريخها– .

وقد اعتمد هؤلاء على روايات موضوعة، وأحداث مختلقة لا صحة لها، وقاموا بتهويل الأحداث والمغالاة فيها. وأغضوا الطرف متعمدين عن الروايات الصحيحة التي يثبتها النقل ويصدقها العقل ويألفها الحس المؤمن، هذه الروايات التي نعتقد بها وندين الله فيها هي وحدها التي تكشف اللثام عن طبيعة العلاقة بين الآل والصحابة؛ علاقة الحب والألفة، والتواد والتراحم والتناصح، علاقة تخطت الأقوال المجردة إلى الأفعال المطبَّقة.

لذلك استحق الصحابة الأطهار أولية الخيرية، فهم خير القرون بشهادة نبي الرحمة لهم، أخرج الشيخان من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[68].

إنّ محاولة تشويه هذه الحقيقة ما هو إلا لأنّ هؤلاء الأصحاب الأنقياء هم حلقة الوصل بيننا وبين تعاليم الدين، والطعن في هذه الحلقة يعني نسف الإسلام وهدمه، قال السفاريني في وصفهم: " فأحق الأمة بإصابة الصواب أبرها قلوباً وأعمقها علوماً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، من غير شك ولا ارتياب.. فكل خير وإصابة وحكمة، وعلم ومعارف ومكارم، إنما عرفت لدينا ووصلت إلينا من الرعيل الأول، والسرب الذي عليه المعول، فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء"[69]. وفيما سيأتي عرضٌ لأبرز الأوجه والأبعاد التي توضح طبيعة

67- المصدر السابق، الزهد والرقائق، (ج2282/4)، حديث رقم: 2972.

68- البخاري: صحيح البخاري، الشهادات/لا يشهد على شهادة زور إذا أشهد، (ج171/3)، حديث رقم:2651، وفي الرقاق/ ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، (ج91/8)، حديث رقم:6428، وفي الأيمان والنذور/ إثم من لا يفي بالنذر،(ج141/8)، حديث رقم:6695، ومسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة/ فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (ج1964/4)، حديث رقم:2535.

69- السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، (ص:381).

العلاقة بين آل البيت، والصحابة رضي الله عنهم أجمعين، تثبت زيف دعاوي المغرضين، استناداً إلى الحقائق التاريخية والروايات الصحيحة المعتمدة عند أهل العلم، والنصوص المثبتة في كتب الشيعة(70).

المطلب الأول: النسب والمصاهرة (71)

المظهر الأول الذي يدلُّ على لُحمة العلاقة بين آل البيت النبوي والصحابة؛ علاقة النسب والمصاهرة التي لم تتوقف أبداً قبل أو أثناء أو بعد أحداث الفتنة كما تثبت ذلك الحقائق التاريخية، وهذه علاقة عملية تؤكد على قوة الأواصر التي ربطت بين الصحابة وآل البيت، لأنه ليس من المعقول أن يتصاهر اثنان يُضمر أحدهما البغض والحقد للآخر، وإن افترضنا تحقق صورة من هذه المصاهرات المريبة، فليس من المقبول أن تكون بقية المصاهرات وهي كثيرة قائمة على ذلك، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} [الفرقان: 54] ذلك لأنّ الدم يختلط بالدم وليس هناك أوثق من هذه العروة؛ قال تعالى: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } [النساء: 21]، والأمثلة على هذه المصاهرات كثيرة جداً، نذكر منها:

1- الرسول صلى الله عليه وسلم من زوجاته:

عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، ورملة بنت أبي سفيان، رضي الله عنهم جميعاً(72).

وأصهاره: علي بن أبي طالب: وقد تزوج ابنته فاطمة بنصيحة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فعن الضحاك بن مزاحم قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: « أتاني أبوبكر وعمر فقالا: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت له فاطمة»(73)، وعثمان ابن عفان: وقد تزوج ابنتيه رقية ثم أم كلثوم، وأبو العاص بن الربيع، وقد تزوج ابنته زينب(74).

2- علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من زوجاته بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها:

- أسماء بنت عميس أرملة أبي بكر الصديق، وقبله جعفر بن أبي طالب.

- وأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وهي أموية هاشمية، أمها زينب بنت رسول الله .

70- ربما يشعر القارئ بأننا قد أكثرنا النقل من هذه الكتب والمراجع الشيعية وما ذلك إلا لإقامة الحجة عليهم من مصادرهم.

71- للتوسع حول هذه العلاقة ينظر الكتاب القيّم: المنتقى من النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، لمؤلفه: علاء الدين شمس الدين المدرس.

72- ابن هشام، السيرة النبوية (139/1) و(259/4) و(260/4)

73- الطوسي، الأمالي، (ص:93).

74- ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج202/3).

وأصهاره: عمر بن الخطاب، وقد تزوج ابنته أم كلثوم: وهذا الزواج ثابت لم ينكره أحد، فقد أقر به أصحاب الصحاح الأربعة والإمامية[75]، وعبد الرحمن بن عامر بن كريز الأموي، وقد تزوج ابنته خديجة، ومعاوية بن مروان بن الحكم، وقد تزوج ابنته رملة، والمنذر بن عبيدة بن الزبير بن العوام، وقد تزوج ابنته فاطمة.

3- الحسن بن علي بن أبي طالب، من زوجاته:

أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر .

وأصهاره: عبد الله بن الزبير بن العوام، وقد تزوج ابنته أم الحسن، وعمرو بن الزبير بن العوام، وقد تزوج ابنته رقية، وجعفر بن مصعب بن الزبير، وقد تزوج ابنته مليكة.

4- الحسين بن علي بن أبي طالب: من زوجاته:

ليلى بنت أبي مرة -أمها ميمونة بنت أبي سفيان-، وأم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي-وكان أخوه الحسن قد أوصاه عند موته أن ينكحها-.

وأصهاره: عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وقد تزوج ابنته فاطمة، ومصعب بن الزبير بن العوام، وقد تزوج ابنته سكينة.

5 – محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من زوجاته: أم فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق[76] .

المطلب الثاني: الثناء والمدح والطاعة

هذا المظهر يتمثل بالعبارات التي يثني بها الصحابة على آل البيت، وآل البيت على الصحابة، وهو من المؤشرات القوية التي توضح طبيعة العلاقة بين الطرفين، فالصحابة كلهم عدول بمعنى أنّ الكذب يستحيل في حقهم، وإلا لما استحقوا أولية الخيرية، فكيف يثني أحدهم على الآخر ويمدحه وهو يضمر له الشر والحقد؟ تلك صفات ننزه أصحاب رسول الله عليه السلام منها، كيف لا وهم الذين قال الله تعالى في حقهم:{ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر:10]، ولا يكاد كتاب من كتب أهل السنة يخلو من ذكر فضائل آل البيت، وثناء الصحابة عليهم، ولعلنا نركز

75- ينظر مثلاً: الكليني، الكافي، (ج346/5)، والطوسي، تهذيب الأحكام، (ج262/9)، وابن شهر آشوب، مناقب الطالبين، (ج162/3)، وابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، (ج124/3).

76- هذه الأمثلة على النسب والمصاهرات مختارة من الكتب التالية: ابن الكلبي، جمهرة أنساب العرب، (ص:87)، والزبيري، نسب قريش، (ص:52)، والبلاذري، أنساب الأشراف، (ج403/2)، والأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، (ج347/2)، وأبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، (ص:202).

هنا على أقوال آل البيت في الثناء على الصحابة ومدحهم، مما يكشف لكل حصيف حقيقة الحب والمودة بين الصحابة لا كما يصورها الحاقدون من أنَّ الكره والحقد والحسد هو الذي كان سائداً.

فهذا علي رضي الله عنه يقول مادحاً المهاجرين من الصحابة في جواب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فيقول:" فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم "[(77)].

كما مدح الأنصار من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام بقوله:" هم والله ربوا الإسلام كما يربي الفلو[78] مع غنائهم، بأيديهم السباط، وألسنتهم السلاط"[(79)].

كما مدح أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهم جميعاً، كما ورد في الأثر الذي رواه عَطَاء بنَ السَّائِبِ، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: " أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ أَبُو بَكْرٍ، وَخَيْرُهَا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ: عُمَرُ، ثُمَّ يَجْعَلُ اللهُ الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ "[(80)].

ورداً على مزاعم القائلين بعدم موافقة علي بن أبي طالب بما حصل في سقيفة بني ساعدة واعتبارها مؤامرة، وغير هذه المزاعم المكذوبة، يوضح رضي الله عنه موقفه من البيعة قائلاً:" عند انثيال[81] الناس على أبى بكر، وإجفالهم[82] إليه ليبايعوه: فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر، فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر، وسدّد، وقارب، واقتصد، فصحبته مناصحاً، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً"[(83)].

كما يقر هو والزبير بن العوام رضي الله عنهما بقولهما:" وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعرف له سنة، ولقد أمره رسول الله بالصلاة وهو حي"[(84)].

أما عمر بن الخطاب فقد دخل عليه علي – وهو مسجّى[(85)]– فقال: " رحمة الله عليك ما من أحد أحب إلي أن ألقى الله بما في صحيفته بعد صحبة النبي – صلى الله عليه وسلم– من هذا المسجى"[(86)].

77- السيد الرضي، نهج البلاغة (ص:383).

78- المُهر، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (ج72/3).

79- نهج البلاغة(ص:557).

80- أحمد، المسند (ج2/ 245)، والحديث صحيح.

81- انثال عليه الناس: أي مالوا عليه وكثروا حتى ركب بعضهم بعضاً، الخطابي، غريب الحديث (ج2/ 233).

82- أيْ ذَهبوا مُسرِعين نَحوه، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج1/ 279).

83- أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة (ج299/1)، حديث رقم: 224، وينظر: الثقفي، (ج307/1)، تحت عنوان "رسالة علي عليه السلام إلى أصحابه بعد مقتل محمد بن أبي بكر".

84- أخرجه البيهقي: السنن الكبرى، قتال أهل البغي/ باب: ما جاء في تنبيه الإمام علي على من يراه، (ج263/8) حديث رقم:16587، وينظر أيضاً: الهيتمي، الصواعق المحرقة، فصل: ثناء أكابر أهل البيت على الشيخين وعثمان، (ص:78)، وابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة (ج332/1).

85- أيْ مغُطّى، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج2/ 344).

وقال في مدح عثمان رضي الله عنه معترفاً بفضله ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا»[87].

ولقد أنكر علي قتل عثمان، وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله، ولا مالأ ولا رضي، فعن قيس بن عباد قال : " سمعت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: { ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة }، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لـــعثمان حتى ترضى" [88].

وهذا الثناء لم يصدر من علي ين أبي طالب وحسب، بل هو ديدن آل البيت جميعاً،يقول كثير أبو إسماعيل: قلت لأبي جعفر محمد بن علي وسألته عن أبي بكر وعمر فقال:بغض أبي بكر وعمر نفاق، وبغض الأنصار نفاق، ياكثير من شك فيهما، فقد شك في السنة، تولهما فما أصابك ففي عنقي"[89].

وعن شريك عن جابر قال: سألتُ أبا جعفر محمد بن علي: " هل كان أحد يسب أبا بكر وعمر؟ قال: مـــــعـــاذ الله بل يتولونهما، ويستغفرون لهما، ويترحمون عليهما"[90].

المطلب الثالث: التكريم والتفضيل

في مقابل ذلك الثناء والمدح من آل البيت للصحابة، نجد التكريم والتفضيل من الصحابة لآل البيت، فهذا أبو بكر يقول لعلي رضي الله عنهم جميعاً: " والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي"[91].

86- السيوطي، الدر المنثور (ص: 98)، وابن سعد، الطبقات الكبرى، (ج370/3).

87- السيد الرضي، نهج البلاغة (ج357/2).

88- رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، (ج101/3)، حديث رقم:4527.

89- الدارقطني، فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض صلوات الله عليهم، (ص:39).

90- المصدر السابق، (ص: 46).

كما صلّى أبو بكر رضي الله عنه العصر، ثم خرج يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه وأخذ يرتجز: " بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي"، وعلي رضي الله عنه معه يضحك(92).

أما عمر رضي الله عنه فقد كان يقول: " لولا علي لهلك عمر، ولا مكان لابن الخطاب في أرض ليس فيها ابن أبي طالب"(93)، وعندما وضع الديوان ليوزع بيت المال بدأ بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ظن الناس أنه يبدأ بنفسه، وقال: ضعوا عمر حيث وضعه الله(94).

ولا أدلّ على تكريم الصحابة لآل البيت وتفضيلهم من الحديث الذي روته الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها؛ حديث الكساء قالت: " خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب: 33](95). وعن ابن أبي نعم، قال: كنت شاهداً لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا» "(96).

وإذا أردنا أن نحصي جميع عبارات التكريم والتفضيل – على كثرتها– لن توازي تكريم الله وتفضيله للصحابة الكرام بقوله تعالى:{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}. [الفتح: 29]. يقول الحسن العسكري[97] – الإمام الحادي عشر عند الشيعة – في تفسيره:" إن كليم الله موسى سأل ربه: هل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله: يا موسى أما علمت أن فضل صحابة محمد صلى الله عليه وسلم على جميع صحابة المرسلين كفضل محمد– صلى الله عليه وسلم– على جميع

91- البخاري: صحيح البخاري، أصحاب رسول الله/ مناقب قرابة رسول الله، (ج5/20)، حديث رقم:3711، وفي المغازي/ حديث بني النضير، (ج5/90)، حديث رقم:4035، ومسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، (ج3/1380)، حديث رقم: 1759.

92- البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (ج4/187)، حديث رقم: 3542.

93- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ج3/1103).

94- ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/295).

95- مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/ فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، (ج4/1883)، حديث رقم:2424.

96- البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (ج8/7)، حديث رقم: 5994.

97- **الحسن بن علي العسكري:** الإمام الحادي عشر للشيعة الاثنى عشرية، ولُقِّب بالعسكري نسبة إلى مدينة العسكر بالقرب من بغداد حيث أقام بها أغلب عمره، ومن أشهر ألقابه أيضًا الزكي، وكانت وفاته يوم 8 ربيع الأول 260 هـ، للإستزادة ينظر: باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن العسكري.

المرسلين والنبيين"[98]، وأخرج البخاري في صحيحه: عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ»[99].

المطلب الرابع: المشاركة والعمل

سبقت الإشارة إلى أنّ العلاقة بين الصحابة والقرابة تعدت الأقوال المنطوقة إلى الأفعال المطروقة، فلم يكن هناك إقصاء لأي من الطرفين بل هي المشاركة والمناصحة، فكان علي– كرم الله وجهه– أحد مستشاري الخليفة عمر ابن الخطاب، فقد شاوره عمر رضي الله عنه في خروجه بنفسه إلى غزو الروم، فقال له علي: « إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم بشخصك فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس، ومثابة للمسلمين»[100].

وعندما استشاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الخروج لقتال الفرس بنفسه، قال الإمام علي عليه السلام: « إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، والعرب اليوم –وإن كانوا قليلاً، فهم– كثيرون بالإسلام، وعزيزون بالاجتماع، فكن قطباً، واستدر الرّحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهمّ إليك مما بين يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكَلَبِهم عليك، وطمعهم فيك»[101].

وروى ابن عبد البر بإسناده إلى سعيد بن المسيّب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن[102]. وعندما يكون علي رضي الله عنه غائباً ويريده الفاروق رضي الله عنه في شيء يذهب إليه بنفسه وهو الخليفة، فيلقاه علي رضي الله عنه في الطريق، فيقول لـــه: هلا أرسلت إلينا فنأتيك؟ فيقول عمر رضي الله عنه: " الحكم يؤتى إليه في بيته "[103].

98– تفسير الحسن العسكري، (ص:65).

99– البخاري:الصحيح، كتاب المناقب/باب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»،(ج8/5)، حديث رقم:3673.

100– نهج البلاغة، مرجع سابق (ج309/2).

101– نهج البلاغة (ج320/2– 321).

102– الاستيعاب على حاشية الإصابة (ج93/3).

103– المناقب (ج492/1)، الكافي (ج216/7).

ولما قيل لعمر رضي الله عنه أوصي يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر – أو الرهط – الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن[104].

وهذا الموقف ليس فقط مع علي وإنما مع غيره من آل البيت، فعن ابن عمر قال : كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يوما فمسح رأسك وقال: " اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"[105].

المطلب الخامس: التوصية والتسمية

ليس أدل على محبة الصحابة والقرابة لبعضهم البعض من وجود توصيات يوصي بها الصحابة لآل البيت، وآل البيت للصحابة، فنجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: " ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته"[106].

وطلبت عائشة رضي الله عنها بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه أن يلزم الناس علياً، فعندما انتهى عبد الله ابن بديل إلى عائشة وهي في الهودج يوم الجمل، فقال: يا أم المؤمنين أنشدك بالله أتعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان؟ فقلت: إن عثمان قد قتل فما تأمريني؟ فقالت لي: الزم علياً فوالله ما غيّر ولا بدّل، فسكتت ثم أعاد عليها ثلاث مرات، فسكتت فقال: اعقروا الجمل، فعقروه"[107].

ويروي المجلسي عن الطوسي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال لأصحابه: " أوصيكم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تسبوهم، فإنهم أصحاب نبيكم، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هؤلاء"[108].

وعندما ضرب ابن ملجم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأحس بالموت أوصى ولده الحسن عليه السلام، وكان مما قال: " الله الله في ذمة نبيكم فلا يُظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم"[109].

104- البخاري: صحيح البخاري، فضائل الصحابة/ قصة البيعة والإتفاق على عثمان رضي الله عنه، (ج16/7)، حديث رقم: 3700.

105- أخرجه أحمد: المسند، (ج160/5)، حديث رقم:3033، وللإستزادة ينظر: السامرائي، يونس الشيخ، حقائق عن آل البيت والصحابة.

106- رواه البخاري: صحيح البخاري، (ج20/5)، حديث رقم: 3713، و(ج26/5)، حديث رقم: 3751.

107- ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، (ج545/7).

108- المجلسي، حياة القلوب (ج621/2).

109- الأصفهاني، مقاتل الطالبين، (ص:39)، والأربلي، كشف الغمة (ج59/2).

كما أنّ للتسمية دلالة لا تقل أهمية عمّا مضى من مظاهر ومؤشرات واقعية تبرهن على قوة العلاقة بين الصحابة وآل البيت، " فالاسمُ له إشارة على المسمى، وهو عنوانه الذي يُميزه عن غيره، وجرت عادة الناس على العمل به، ولا يشك عاقل في أهمية الاسمُ إذ به يعرف المولود ويتميز عن إخوانه وغيرِهم، ويصبح علماً عليه وعلى أولاده من بعده، ويفنى الإنسان ويبقى اسمه"(110). فالإمام علي كرم الله وجهه يسمي أولاده بأسماء الخلفاء الراشدين من قبله، ومن أولاده: عمر، وعثمان، وأبي بكر الذين استشهدوا مع أخيهم الحسين في كربلاء(111).

وكذلك الإمام زين العابدين عليه السلام سمى إحدى بناته: عائشة، ومن أولاده: عبد الرحمن، وعمر، وهو شقيق زيد بن علي رضي الله عنه(112). وهذا موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه: أبا بكر، وآخر سماه: عمر، وسمى إحدى بناته: عائشة، وأخرى: أم سلمة(113). وكذلك الإمام علي بن موسى الرضا من أسماء بناته: عائشة(114).

المبحث الثالث: الخلاف بين آل البيت والصحابة وحقيقته

المطلب الأول: القواعد العامة لفقه الخلاف بين الصحابة

لا بدّ من دراسة الخلاف بين الصحابة- رضوان الله عليهم- في ضوء قوله تعالى {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: 90]، ونعني بذلك: عدم الخلط بين الجوانب البشرية التي من طبيعة خِلقتها قابليتها للصواب والخطأ، وبين جوانب الحكمة والهداية في تصرفات كل البشر بما فيهم الصحابة- رضوان الله عليهم-، فنحن مأمورون باتباع جوانب الهداية في أقوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم وأخلاقياتهم، مع الإيمان بالخيرية البشرية لديهم بشهادة الله تعالى لهم.

فكل ما نجم عن الصحابة- رضوان الله عليهم- يمكن أن يُفهم في ضوء رؤيتهم للحق والصواب، ورغبتهم في إحقاقه واختلاف طرائقهم ورؤاهم في ذلك، ولعل حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ حيث قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ "(115)، يبيّن ذلك؛ فدعواهما واحدة حتى في الإقتتال، ومع أنَّ الحديث فيه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَبِيبٍ- وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا- إلا أنّ البزار قد أورد له شاهدًا من حديث أبي هريرة من غير طريق عبدالله، والذي يعنينا هنا أنّ الرسول- صلى الله عليه وسلم- أثبت لهم وحدة مسمّى

110- الدرويش، رحماء بينهم، التراحم بين آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، (ص:7).

111- الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة (ج2/67-68)، والأصفهاني، مقاتل الطالبين(ص:83).

112- المصدر السابق.

113- الأربلي، كشف الغمة (ج3/29).

114- المرجع السابق (ج3/60).

115- البزار، أحمد بن عمرو، مسند البزار(ج3/242).

دعوتهم، والمفهوم من ذلك أنّ هاتين الفئتين لم تقتتلا إلّا ولهما رؤية وفهم ووجهة وتبرير لما تقوم به كل منهما، وفيما يلي جملة من القواعد والضوابط التي يُصار إليها لفهم الخلاف بين الصحابة الكرام:

- ينبغي الأخذ بعين الاعتبار، عدم الخلط بين التاريخ كأحداث ووقائع له مسبباته وحيثياته ونتائجه، وبين خيرية الجيل الفريد الذي حمل الرسالة وأدّاها على أتم وجه، فقوله- صلى الله عليه وسلم-: "خير القروني قرني".. أو "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء".. هو توجيه نبوي راق يحثنا على الفصل بين فعل الأشخاص المبني على الاجتهاد، وبين السنة التي ارتضاها النبي الكريم- صلى الله عليه وسلم-، أو التي استنّها الخلفاء الراشدون بعده وحازت التوافق من خير القرون، فإضافة الرسول- صلى الله عليه وسلم- لكلمة "سنة" و"الخلفاء" و"الراشدين" هي ضوابط لفهم تلك العلاقة.
- وهذا هو شأن الصحابة جميعًا، وممّا يُثبت أنّ الصحابة كان لهم اجتهادهم في هذه الفتن ما جاء عن المغيرة ابن شعبة: " أنّه دخل على عثمان – وهو محصور– فقال: إنّك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترى، وإنّي أعرض عليك خصالاً ثلاثاً، اختر إحداهن: إمّا أن تخرج فتقاتلهم، فإنّ معك عدداً وقوة، وأنت على الحق، وهم على الباطل، وإمّا أن نخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنّهم لن يستحلوك وأنت بها، وإمّا أن تلحق بالشأم، فإنّهم أهل الشأم وفيهم معاوية، فقال عثمان: أمّا أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلَف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أمته بسفك الدماء، وأمّا أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني بها، فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " يَلحد رجلٌ من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم"، فلن أكون أنا إياه، وأمّا أن ألحق بالشأم، فإنهم أهل الشأم وفيهم معاوية، فلن أفارق دار هجرتي، ومجاورة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –"[116]. فعرض المغيرة- رضوان الله عليه- العروض الثلاثة هو بمثابة الخلاصة التي أدّى إليها اجتهاده، ولم يكن الأمر يقينيا في الحل مع علمهم جميعًا أنّ عثمان- رضي الله عنه- على ح، فقد قال له:" وأنت على الحق وهم على الباطل"، لكنّ الاجتهاد في الخروج من الموقف الصعب بأقل الخسائر مع حفظ ثوابت هذا الدين كان هو الهدف.
- لا بدّ من الفصل بين الوحي والتاريخ، كما ينبغي الفصل بين الأشخاص والمبادئ، وفهم خلافات الصحابة فيما بينهم أنّها لم تتعدّ أمورًا اجتهادية لم تنل شيئًا من دينهم أو الطعن ببعض[117] " فعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ كَلَامٌ، فَذُكِرَ خَالِدٌ عِنْدَ سَعْدٍ فَقَالَ: مَهْ، فَإِنَّ مَا بَيْنَنَا لَمْ يَبْلُغْ دِينَنَا"[118]. قال الهيثمي[119]: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.
- جمالية فهم السلف لفقه الاختلاف، وأنّه أمرٌ ينبغي ألّا يكون قضية بذاتها تُشغل العامة، بل هو أمر طبيعي يحدث في مجتمع صحي، يتشكل من فئات منوعة ينبغي ألّا تتناقل لأجل نشر الخلاف فقط، " فعَنْ أَبِي رَاشِدٍ قَالَ: جَاءَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالُوا: إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ عَنْ عَلِيٍّ

116- أحمد بن حنبل، (ج372/1)، وقد تكلم النقاد في سماع محمد بن عبد الملك بن مروان من المغيرة.

117- تكلم محمد بن المختار الشنقيطي في هذه النقطة فأجاد، ينظر كتابه: الخلافات السياسية بين الصحابة، (ص4-7).

118- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير(ج106/4).

119- الهيثمي، علي بن أبي بكر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (ج223/7).

وَعُثْمَانَ، فَقَالَ: وَمَا أَقْدَمَكُمْ شَيْءٌ غَيْرَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [البقرة: 134]، قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ"[120].

- وقع بين الصحابة- رضوان الله عليهم- عتابٌ واختلاف، لكنه عتاب المحبين، واختلاف المجتهدين، ولم يتحرجوا أن يبثوا ما في صدورهم لأحبائهم الذي اختلفوا معهم، بل يُظهر المختلف وجهة نظره ويُبْلغها الآخر، فممّا جاء عند الإمام أحمد " أنّ عبد الرحمن بن عوف لقي الوليدَ بن عقبة، فقال له الوليد: مالي أراك قد جفوتَ أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبْلغْه أني لم أفر يوم عينينِ، قال عاصم: يقول: يوم أحد، ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنة عمر، قال: فانطلق فخبَّر ذلك عثمان، قال: فقال: أما قوله إني لم أفر يوم عينين فكيف يعيرني بذنب وقد عفا الله عنه؟ فقال: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}[آل عمران: 155]، وأما قوله: إنّي تخلفت يوم بدر، فإنّي كنت أُمَرِّض رقية بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين ماتت، وقد ضرب لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسهمي، ومن ضرب له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسهمه فقد شهد، وأمّا قوله: إنّي لم أترك سنة عمر، فإنّي لا أطيقها ولا هو، فأته فحدّثه بذلك"[121] قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. فلم يتحرج أحدهما رضي الله عنهما وأرضاهما أن يبلّغ أخاه رؤيته ونظرته للأمر بكل احترام وود، فإذا كان هذا شانهم مع غير أهل البيت فكيف بأهل البيت، وقد أوصاهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- بهم.

- والذي يظهر للمنصف أنّ الخلاف أو الاختلاف بينهم، لا يعدو كونه اختلاف الاجتهاد في مسألة فقهية كما جاء "عن عبد الله بن الزبير قال: والله إنّا لمع عثمان بن عفان بالجُحْفة، ومعه رهط من أهل الشأم، فيهم حبيب ابن مَسْلمة الفِهْري، إذ قال عثمان، وذُكر له التمتع بالعمرة إلى الحج: إنّ أتمّ للحج، والعمرة أن لا يكونا في أشهر الحج، فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زورتين كان أفضل، فإنّ الله تعالى قد وَسَّع في الخير، وعلي بن أبي طالب في بطن الوادى يعلف بعيرًا له، قال: فبلغه الذي قال عثمان، فأقبل حتى وقف على عثمان، فقال: أعَمَدْتَ إلى سُنَّة سنَّها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ورخصة رخص الله تعالى بها للعباد في كتابه، تُضَيِّق عليهم فيها وتنهى عنها، وقد كانت لذي الحاجة ولنائي الدار؟ ثم أَهَلَّ بحجة وعمرة معا، فأقبل عثمان على الناس فقال: وهل نهيت عنها؟ إني لم أَنْهَ عنها، إنما كان رأيًا أشرتُ به، فمن شاء أخذ به، ومن شاء تركه"[122].

ومثله ما ذكره ابن تيمية فقال:" كَانَ النِّزَاعُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي أَنَّ مُحَمَّدًا- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَلْ رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ؟ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَأَكْثَرُ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: إنَّ مُحَمَّدًا- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وَطَائِفَةٌ مَعَهَا تُنْكِرُ ذَلِكَ"[123]، فهو خلاف علمي اجتهادي مبني على الأدلة والنظر فيها لا على الهوى والرغبة.

120- المصدر السابق، (ج7/223).

121- أحمد بن حنبل، المسند، (ج1/375).

122- المصدر السابق، (ج1/475)، وإسناده صحيح.

123- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج3/386).

- أو اختلاف في رؤية معينة لمسألة ما كما جاء في ما قاله عبد الله بن شقيق: "كان عثمان ينهى عن المتعة وعليّ يأمر بها، فقال عثمان لعليَّ قولاً، ثم قال عليّ: لقد علمت أنّا قد تمتعنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: أجل، ولكنا كنا خائفين"[124]. فهذه علاقة عثمان بابن عم رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وهما مختلفان الذي سنّت ألسنة الشؤم ألسنتها للنيل منهما رضي الله عنهما وأرضاهما.
- أو اتخاذ موقف سياسي لا علاقة له من قريب أو بعيد بالحب أو البغض، بقدر ما له علاقة برؤية الإنسان السياسية ونرى ذلك جليًا في رواية عبد الله بن يسار:" أنّ عمرو بن حُريث عاد الحسن بن علي، فقال له علي: أتعود الحسن وفي نفسك ما فيها؟ فقال له عمرو: إنك لست بربي فتصرف قلبي حيث شئت! قال علي: أما إنّ ذلك لا يمنعنا أن نؤدي النصحية، سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "ما من مسلم عاد أخاه إلا ابتعث الله له سبعين ألف ملك يُصلّون عليه من أي ساعات النهار كان حتى يمسي، ومن أي ساعات الليل كان حتى يصبح"، قال له عمرو: كيف تقول في المشي في الجنازة بين يديها أوخلفها؟ فقال على: إنّ فضل المشي من خلفها على بين يديها كفضل صلاة المكتوبة في جماعة على الوحدة، قال عمرو: فإنّي رأيت أبا بكر وعمر يمشيان أمام الجنازة؟ قال على: إنّهما إنّما كرها أن يحرجا الناس"[125].
- النظر إلى ما وقع بين الصحابة كونه لا يتجاوز الاجتهاد الخاطئ مع رجاء الثواب لهم، فقد جاء عن ابن تيمية قوله:" فَالْكَمَالُ فِي كَمَالِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَعْرِفْ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَتَرَكَ هَوَاهُ، وَاسْتَسْلَمَ لِلْقَدَرِ، أَوْ اجْتَهَدَ فِي الطَّاعَةِ فَأَخْطَأَ، فَعَلَ الْمَأْمُورَ بِهِ إلَى مَا اعْتَقَدَهُ مَأْمُورًا بِهِ، أَوْ تَعَارَضَتْ عِنْدَهُ الْأَدِلَّةُ فَتَوَقَّفَ عَمَّا هُوَ طَاعَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَهَؤُلَاءِ مُطِيعُونَ لِلَّهِ مُثَابُونَ عَلَى مَا أَحْسَنُوهُ مِنْ الْقَصْدِ لِلَّهِ وَاسْتَفْرَغُوهُ مِنْ وُسْعِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَا عَجَزُوا عَنْ عِلْمِهِ فَأَخْطَئُوهُ إلَى غَيْرِهِ فَمَغْفُورٌ لَهُمْ، وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ فِتَنٍ تَقَعُ بَيْنَ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ أَقْوَامًا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ أُمُورًا هُمْ مُجْتَهِدُونَ فِيهَا وَقَدْ أَخْطَئُوا، فَتَبْلُغُ أَقْوَامًا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ تَعَمَّدُوا فِيهَا الذَّنْبَ أَوْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ لَا يُعْذَرُونَ بِالْخَطَأِ، وَهُمْ أَيْضًا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ فَيَكُونُ هَذَا مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا فِي فِعْلِهِ وَهَذَا مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا"[126].
- فهم الخلاف بينهم لاختيار الأفضل للناس، يقول ابن تيمية:" ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ عُثْمَانُ كَانَ يَنْهَى عَنْ الْمُتْعَةِ، فَلَمَّا رَآهُ عَلِيٌّ أَهَلَّ بِهِمَا، وَقَالَ: لَمْ أَكُنْ لِأَدَعَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِقَوْلِ أَحَدٍ وَنَهْيُ عُثْمَانُ"، كَانَ لِاخْتِيَارِ الْأَفْضَلِ لَا نَهْيَ كَرَاهَةٍ، فَلَمَّا حَصَلَتْ الْفُرْقَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ الْأُمَّةِ بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ وَمَصِيرِ النَّاسِ شِيعَتَيْنِ: قَوْمًا يَمِيلُونَ إلَى عُثْمَانَ وَشِيعَتِهِ، وَقَوْمًا يَمِيلُونَ إلَى عَلِيٍّ وَشِيعَتِهِ، صَارَ قَوْمٌ مِنْ وُلَاةِ بَنِي أُمَيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنْ الْمُتْعَةِ وَيُعَاقِبُونَ مَنْ يَتَمَتَّعُ، وَلَا يُمَكِّنُونَ أَحَدًا مِنْ الْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُلَمَاءُ الصَّحَابَةِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَغَيْرِهِمَا جَعَلُوا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْمُتْعَةِ اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَيُخْبِرُونَ النَّاسَ أَنَّ النَّبِيَّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَمَرَ بِهَا أَصْحَابَهُ فِي " حَجَّةِ الْوَدَاعِ "، فَصَارَ بَعْضُ النَّاسِ يُنَاظِرُهُمْ بِمَا تَوَهَّمَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَيَقُولُونَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: إنَّ أَبَاك كَانَ يَنْهَى عَنْهَا، فَيَقُولُ: إنَّ أَبِي لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ وَلَا كَانَ يَضْرِبُ النَّاسَ عَلَيْهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ عُمَرُ قَصَدَ أَمْرَ النَّاسِ بِالْأَفْضَلِ لَا تَحْرِيمَ الْمَفْضُولِ، وَعُمَرَ

124– أحمد بن حنبل، المسند، (ج1/ 349). إسناده صحيح.
125– أحمد بن حنبل، المسند، (ج1/ 493)، وإسناده صحيح.
126– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج10/ 546).

إِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِالِاعْتِمَارِ فِي غَيْرِ أَشْهُرِ الْحَجِّ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عُمَرُ أَوْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ اخْتَارَ لِلنَّاسِ أَنْ يُفْرِدُوا الْحَجَّ فِي أَشْهُرِهِ وَيَعْتَمِرُوا فِيهِ عُمْرَةً مَكِّيَّةً فَهَذَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَلَمْ يَخْتَرْهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ أَصْلًا، وَلَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ- صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَطْعًا، وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يَأْمُرْ بِه"[127].

- وهم في كلّ ذلك في أعلى درجات الخلق الرفيع، يختلفون نعم، لكن صحة إيمانهم تدفعهم لقول الحق في مواطن الرجولة الحقة، فما يمنعهم اختلافهم من الشهادة بحق لمن يختلفون معه، فممّا جاء عند الإمام أحمد في مسنده" قال الأحنف: انطلقنا حجّاجاً فمررنا بالمدينة، فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال: الناس من فزع في المسجد، فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد، قال: فتخللتهم حتى قمت عليهم، فإذا علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي، فقال: أها هنا عليٌّ؟ قالوا: نعم، قال: أها هنا الزبير؟ قالوا: نعم، قال: أها هنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال: أها هنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "من يبتاع مربَد بنى فلان غفر الله له"، فابتعته، فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت: إني. قد ابتَعته، فقال: "اجعله في مسجدنا وأَجْره لك"؟ قالوا:؟ نعم، قال: أنشدكِم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال "من يبتاع بئر رُومَة"؟، فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت: إني قد ابتعتها، يعني بئر رومة، فقال: "اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك"؟ قالوا: نعم، قال أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نظر في وجوه القوم يوم جيش العُسْرة فقال: "من يجهز هؤلاء غفر الله له"، فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهَد، ثم انصَرف"[128]، وكذا شهود علي لأبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا أنّهم خير هذه الأمة بعد رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، فعن عون بن أبي جحيفة قال: " كان أبي من شُرَطِ عليّ، وكان تحت المنبر، فحدثني أبي أنه صعد المنبر، يعني عليًا، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلّى على النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثاني عمر، وقال: يجعل الله تعالى الخير حيث أحب"[129]، وفي هذا رد على من يطعن بعلاقة الصحابة الكرام بعضهم ببعض، والخلفاء الراشدين عمومًا، وعلي مع أبي بكر وعمر خصوصًا رضي الله عنهم أجمعين. ولنسمع بأذن منصفة لقول علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– فيما يرويه ابن عباس حيث يقول: " وُضع عمر بن الخطابِ على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يُرفع، وأنا فيهم، فلم يرُعْني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب، فترحم على عمر فقال: ما خلفت أحدًا أحب إليّ أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك، وذلك أنّي كنت أُكثر أن أسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "فذهبت أنا وأبو بكر

127- المصدر السابق، (ج26/278-279).

128- أحمد بن حنبل، المسند، (ج1/ 382)، إسناده صحيح.

129- المصدر السابق، (ج1/530)، وإسناده صحيح.

وعمر"، و"دخلت أنا وأبو بكر وعمر"، وإن كنت لأظنّ ليجعلنك الله معهما"[130]، فكيف يأتي من يطعن ويُشكك بعلاقة عمر وعلي رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين.

- ولا يختلف الأمر عند كل من السيدة عائشة، وعلي رضي الله عنهما، فقد جاء عن المقدام بن شريح عن أبيه قال:" سألتُ عائشة فقلتُ: أخبريني برجل من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أسأله–عن المسح على الخفين؟ فقالت: ائت عليّا فسله، فإنّه كان يَلْزَم النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: فأتيت عليّا فسألته؟ فقال: أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمسح على خفافنا إذا سافرنا"[131]، نعم قد يحدث اختلاف بين هؤلاء الخيّرين، لكن لا عدوان، ولا ظلم، ولا تعدّي، بل اعتراف واحترام وتوقير، وكلّ ذلك مشفوع بنصرة الحق كلّ كما يراه هو. وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام في اقتتال الصحابة واختلافهم إذ يقول:"وَأَمَّا " أَهْلُ السُّنَّةِ " فَمُتَّفِقُونَ عَلَى عَدَالَةِ الْقَوْمِ؛ ثُمَّ لَهُمْ فِي التَّصْوِيبِ وَالتَّخْطِئَةِ مَذَاهِبُ لِأَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ، " أَحَدُهَا: " أَنَّ الْمُصِيبَ عَلِيٌّ فَقَطْ، و" الثَّانِي: " الْجَمِيعُ مُصِيبُونَ، و" الثَّالِثُ ": الْمُصِيبُ وَاحِدٌ؛ لَا بِعَيْنِهِ، و" الرَّابِعُ ": الْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ مُطْلَقًا"[132].

المطلب الثاني: حقيقة الخلاف بين الصحابة وآل البيت

- ينسحب الكلام الذي ذُكِر سابقًا حول قواعد وأسس فهم الخلاف بين الصحابة عمومًا على الخلاف فيما بينهم وبين آل البيت، ملتزمين في فهم الخلاف بين الصحابة الكرام– رضي الله عنهم أجمعين– بما تعلمناه منهم، من تجنيب للإختلاف في مواطن الحق، والصدح به وإن كان فيه ما لا تستسيغه النفوس، دون أن يؤثر ذلك على مكانة كل منهم في نفس الآخر؛ ولننظر لموقف كل من السيدة عائشة وعمار رضي الله عنهما، عندما خرجت السيدة عائشة، وطلحة، والزبير، وكان عمار مع علي رضي الله عنهم أجمعين يروي القصة عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ زِيَادٍ الأَسَدِيُّ، قَالَ: لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى البَصْرَةِ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ فِي أَعْلاَهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا، يَقُولُ: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاَكُمْ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ»[133]، فنرى كيف أنّ عمارًا لم يخشَ في قول الحق لومة لائم، مع شهادته لعائشة رضي الله عنها أنّها من أهل الجنة، لا بل زوجة المصطفى– صلى الله عليه وسلم– في الجنة، كما روى عَمْرِو بْنِ غَالِبٍ، أَنّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَقَالَ: «أَغْرِبْ مَقْبُوحًا مَنْبُوحًا، أَتُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ

130– المصدر السابق، (ج551/1)، وإسناده صحيح.

131– المصدر السابق، (ج18/2).

132– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج35/ 51).

133– البخاري: صحيح البخاري، الفتن/ باب الفتنة التي تموج كموج البحر، (ج55/9) حديث رقم: (7100).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-»: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[134]، وتشهد السيدة عائشة لعمار في ذات الموطن الذي يخالفها فيه أنّه قوّال للحق، حيث ينقل لنا ابن حجر ذلك فيقول:" وَوَقع عِنْد بن أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيق شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: قَالَ عَمَّارٌ: " إِنَّ أُمَّنَا سَارَتْ مَسِيرَهَا هَذَا، وَإِنَّهَا وَاللَّهِ زَوْجُ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَانَا بِهَا لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ نُطِيعُ أَوْ إِيَّاهَا"، وَمُرَادُ عَمَّارٍ بِذَلِكَ: أَنَّ الصَّوَابَ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ، وَأَنَّ عَائِشَةَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ تَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا أَنْ تَكُونَ زَوْجَةُ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْجَنَّةِ، فَكَانَ ذَلِكَ يُعَدُّ مِنْ إِنْصَافِ عَمَّارٍ، وَشِدَّةِ وَرَعِهِ وَتَحَرِّيهِ قَوْلَ الْحَقِّ، وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْمَدِينِيِّ قَالَ: قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعَائِشَةَ لَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْجَمَلِ: " مَا أَبْعَدَ هَذَا الْمَسِيرِ مِنَ الْعَهْدِ الَّذِي عُهِدَ إِلَيْكُمْ يُشِيرُ إِلَى قَوْله تَعَالَى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ } [الأحزاب: 33]، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّكَ مَا عَلِمْت لَقَوَّالٌ بِالْحَقِّ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى لِي عَلَى لِسَانِكِ"[135].

- الدفاع عن آل البيت بالعموم، بل تقديم الدفاع على الاتهام إلّا ما ثبت بما لا يدع مجالا للشك، ففي اتهام السيدة عائشة في حادثة الإفك وقف الصحابة مواقف متعددة، أثنى القرآن على من اتبع الدليل والعلم والعدل ولم يظلم بنقل كلام دون برهان وتثبت.
- عدم محاباة الصحابة الذين أخطأوا مع حمل كل الحب والاحترام والتقدير لهم، فهذه أم مسطح لم تحاب ولدها عندما أخطأ وقد شهد بدرًا، ولذا يقول ابن حجر:" وَفِيهِ فَضِيلَة قَوِيَّة لأمّ مسطح لأنّها لم تُحَابِ وَلَدَهَا فِي وُقُوعِهِ فِي حَقِّ عَائِشَةَ، بَلْ تَعَمَّدَتْ سَبَّهُ عَلَى ذَلِكَ"[136].
- الاعتراف بوقوع الأخطاء منهم أيّ الصحابة، لكن لهم ميزة ينبغي ألّا نتغافل عنها، مع تقديم الحق على كل فضل وفاضل، وما فعه الصحابة بحق أمنا عائشة لدليل على ذلك" وَفِيهِ تَقْوِيَةٌ لِأَحَدِ الِاحْتِمَالَيْنِ فِي قَوْلِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُمُ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، وَأَنَّ الرَّاجِحَ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الذُّنُوبَ تَقَعُ مِنْهُمْ لَكِنَّهَا مَقْرُونَةٌ بِالْمَغْفِرَةِ، تَفْضِيلًا لَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ وَمَرْجُوحِيَّةُ الْقَوْلِ الْآخَرِ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَصَمَهُمْ فَلَا يَقَعُ مِنْهُمْ ذَنْبٌ"[137].

ينبغي فهم هذا الخلاف وفي الأذهان ركيزة قوية من تعظيم المبدأ وتقديمه على تعظيم الأشخاص مهما بلغ شأنهم وقرابتهم، وعلى هذا سار أهل البيت الكرام ومن نهج نهجهم، وقد سار الصحابة على ذلك المبدأ متبعين نهج أهل البيت وهذا أمر طبيعي، بل لعلنا نقول هو علامة نضج التدين والحرص على التوفيق لأمر الله وحكمه حسبما يؤدي لكلّ منهم اجتهاده، فقد جاء "عن حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَبُو سَاسَانَ، قَالَ: شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَأُتِيَ بِالْوَلِيدِ قَدْ صَلَّى الصُّبْحَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ، فَشَهِدَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا حُمْرَانُ أَنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ، وَشَهِدَ آخَرُ أَنَّهُ رَآهُ يَتَقَيَّأُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّهُ لَمْ يَتَقَيَّأْ حَتَّى شَرِبَهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، قُمْ فَاجْلِدْهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: قُمْ يَا حَسَنُ فَاجْلِدْهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: وَلِّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا، فَكَأَنَّهُ وَجَدَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرٍ قُمْ فَاجْلِدْهُ، فَجَلَدَهُ وَعَلِيٌّ يَعُدُّ حَتَّى بَلَغَ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ: أَمْسِكْ، ثُمَّ

134- الترمذي: سنن الترمذي، الفضائل/ باب: من فضل عائشة رضي الله عنها، (ج707/5)، حديث رقم: 3888.

135- ابن حجر، فتح الباري (ج58/13).

136- المصدر السابق، (ج480/8).

137- المصدر السابق.

قَالَ: «جَلَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ، وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، وَعُمَرُ ثَمَانِينَ، وَكُلٌّ سُنَّةٌ، وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ"[138] فنرى أنّ الحسن لم يوافق والده– رضي الله عنهما– في جلد شارب الخمر بيده هو حتى وجد عليه أبوه علي رضي الله عنهما، فتوجه إلى عبد الله بن جعفر، وهذا يعني أنّ أهل البيت أنفسهم قد يختلف اجتهادهم ونظرتهم للأمور، فلا يكون هذا داعيًا للبغض أو التقوّل عليهم بما لا يُرضي الله ورسوله.

وفي الختام حريٌ بنا في هذا المقام أن ننقل بعض أقوال أهل السنة التي تكشف بوضوح عقيدة أهل السنة والجماعة في آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

يقول الباقلاني:" ويجب أن يُعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عن الجميع وأرضاهم، ونقرُّ بفضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضي الله عنهن، وأنهن أمهات المؤمنين كما وصفهن الله تعالى ورسوله، ونقول في الجميع خيراً، ونبدّع ونضلّل ونفسق من طعن فيهن، أو في واحدة منهن، لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم، فمن ذكر خلاف ذلك، كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة ونعوذ بالله من ذلك"[139].

ويقول أبو منصور البغدادي : " وقالوا – أي أهل السنة – بموالاة جميع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن"[140].

وقال الإسفرائيني في بيان منهج أهل السنة : " وقد عصمهم الله أن يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكراً، أو يطعنوا فيهم طعناً، فلا يقولون في المهاجرين والأنصار، وأعلام الدين، ولا في أهل بدر ، وأحد وأهل بيعة الرضوان، إلا أحسن المقال، ولا في جميع من شهد النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة، ولا في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأولاده وأحفاده مثل: الحسن، والحسين، والمشاهير من ذرياتهم.."[141].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين، ويتكلمون بعلم وعدل، ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء، ويتبرءون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً، ويتولون السابقين الأولين كلهم، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم، ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين، ولا ما فعله الحجاج ونحوه من الظالمين، ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين،

138– أحمد بن حنبل، المسند، (ج2/ 110)، إسناده صحيح.

139– الباقلاني، الإنصاف(ج1/22).

140– أبو منصور البغدادي، الفرق بين الفرق (ج1/353).

141– طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، (ص:196).

فيعلمون أن لـــأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيه أحد من الصحابة، لا عثمان ولا علي ولا غيرهما"[142].

ونختم البحث بكلام نفيس لشيخ الإسلام يقطع كلّ تَقوّل من جاهل، أو متعالم حيث يقول: وقد سُئِلَ: – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ: عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَطَلْحَةَ وَعَائِشَةَ – هَلْ يُطَالَبُونَ بِهِ أَمْ لَا؟ فَأَجَابَ:
" قَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ عُثْمَانَ، وَعَلِيًّا، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، وَعَائِشَةَ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ:" {أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ العاص، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، هُمْ مِنْ الصَّحَابَةِ وَلَهُمْ فَضَائِلُ وَمَحَاسِنُ، وَمَا يُحْكَى عَنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُ كَذِبٌ؛ وَالصِّدْقُ مِنْهُ إنْ كَانُوا فِيهِ مُجْتَهِدِينَ: فَالْمُجْتَهِدُ إذَا أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَخَطَؤُهُ يُغْفَرُ لَهُ"[143].

الخاتمة والتوصيات:

وفي ختام هذه الدراسة نخلص منها بمجموعة من النتائج، نذكر منها ما يلي:

1– تمحورت الآراء في دلالة أهل البيت حول المراد بهم في قوله تعالى { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }[الأحزاب: 32 – 34]، بثلاثة أقوال، الراجح منها عند أهل السنة: أنّ المراد الأهل والأزواج، وهو الراجح عند أهل السنة.

2– أنّ حديث الكساء الذي تلقفه الشيعة وقصروا بموجبه مسمّى أهل البيت على فاطمة وعلي وابنيهما – رضي الله عنهم جميعاً–، لا يفهم منه هذا عند أكثر أهل العلم، بل إنّ النبي– صلى الله عليه وسلم– ألحق أهل الكساء بحكم هذه الآية وجعلهم من أهل بيته أيضاً.

3– تخطت العلاقة بين الصحابة وآل البيت الأقوال المجردة إلى الأفعال المطبقة، واكتنفتها علاقة الحب والألفة، والتواد والتراحم والتناصح.

4– من مظاهر العلاقة الوطيدة بين الآل والصحابة: النسب والمصاهرة، الثناء والمدح والطاعة، التكريم والتفضيل، المشاركة والعمل، الوصية والتسمية.

5– وقع بين الصحابة– رضوان الله عليهم– عتابٌ واختلاف، لكنه عتاب المحبين، واختلاف المجتهدين، فكلُّ ما نجم عن الصحابة– رضوان الله عليهم– يمكن أن يُفهم في ضوء رؤيتهم للحق والصواب، ورغبتهم في إحقاقه واختلاف طرائقهم ورؤاهم في ذلك.

6– موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة وآل البيت هو موقف الاحترام والتقدير، مع الإعتراف بفضل الجميع وتقديرهم والإقتداء بهم، فهم خير القرون بشهادة نبي الرحمة – صلى الله عليه وسلم–.

142– ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، (ج71/2).
143 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج431/4).

أمّا أهم التوصيات للدراسة فيمكن إجمالها بما يلي:

1- دعم المشاريع التي تتبنى بيان حقيقة العلاقة بين الصحابة وآل البيت، وتحرص على تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تكدر صفو هذه العلاقة، مثل: مبرة الآل والأصحاب في الكويت، وكرسي آل البيت الذي أنشأته جامعة طيبة في المدينة المنورة.

2- عقد الندوات و والملتقيات والمؤتمرات العلمية التي تتناول أبرز الشبهات والإشكالات التاريخية التي يثيرها الشيعة الروافض حول علاقة الصحابة بآل البيت، ويمكن أن تثير تساؤلات عند الشباب المسلم، وبيان الطرق العلمية والموضوعية لحلها.

3- إعادة قراءة تاريخنا في ضوء ما ذكرنا، بالإضافة إلى العمل على تنقيح المرويات التاريخية ممّا علق بها من رؤى سياسية تحكمت في الحدث وأخرجت مواقف الصحابة من البشرية الخيرية إلى التقديس، فهلك في هذا من هلك.

قائمة المصادر والمراجع

أحمد بن حنبل. (2001م). *المسند*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الأزهري، محمد بن أحمد.(2001م). *تهذيب اللغة*. بيروت: دار إحياء التراث.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات. (1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. بيروت: المكتبة العلمية.

الباقلاني، محمد بن الطيب. (د.ت). *الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به*. موقع الوراق.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *الجامع الصحيح*. دار طوق النجاة.

البغوي، الحسين بن مسعود. (1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث.

البيضاوي، عبد الله بن عمر.(1418هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (2003م). *السنن الكبرى*. تحقيق: محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

الترمذي، محمد بن عيسى.(1975م). *سنن الترمذي*. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس. (2005م). *مجموع الفتاوى*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط3، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1406هـ). *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*. جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية.

ابن الجوزي، جمال الدين.(1422هـ). *زاد المسير في علم التفسير*. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن الجوزي، جمال الدين.(1985م). *غريب الحديث*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. (1990م). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجر، علي العسقلاني. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة.

ابن أبي الحديد (1959م)، *شرح نهج البلاغة*.

الحسيني، شرف الدين علي. (1407هـ). *تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة*. ط1، مدرسة الفقاهة.

ابن حيان، مقاتل بن سليمان. (1423هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان*، بيروت: دار إحياء التراث.

الخطابي، حمد بن محمد. (1982م). غ*ريب الحديث*. تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر.

الدارقطني، علي بن عمر.(1419هـ). *فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض صلوات الله عليهم*. المملكة العربية السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية.

الدرويش، صالح بن عبد الله، *رحماء بينهم، التراحم بين آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين*.

الرازي، أحمد بن فارس.(1979م). معجم *مقاييس اللغة*، دار الفكر.

الرازي، محمد بن عمر الرازي. (1420هـ). *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزبيدي، محمد مرتضى(1205هـ)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، دار الهداية.

الزمخشري، محمود بن عمرو.(1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. بيروت: دار الكتاب العربي.

السامرائي، يونس الشيخ. (1980م). *حقائق عن آل البيت والصحابة*. قطر.

ابن سعد، محمد.(1968م). *الطبقات الكبرى*. بيروت: دار صادر.

السفاريني، محمد الحنبلي. (1991م). *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية*. المكتب الإسلامي: دار الخاني.

السيد الرضي. (د.ت). *نهج البلاغة*. بيروت: دار الكتاب المصري.

السيوطي، عبد الرحمن. (د.ت). *الدر المنثور*. بيروت: دار الفكر.

السيوطي، جلال الدين.(1425هـ). *تاريخ الخلفاء*. مكتبة نزار مصطفى الباز.

الشوكاني، محمد بن علي.(1414هـ). *فتح القدير*. بيروت: دار الكلم الطيب، بيروت.

الشنقيطي، محمد المختار. (2004م). الخلافات السياسية بين الصحابة. مركز الراية للتنمية البشرية.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. (1409هـ). *مصنف ابن أبي شيبة*. الرياض: مكتبة الرشد.

الطاوس، رضي الدين علي. (1413هـ). التحصين. ط1، إيران: دار الكتب للطباعة والنشر.

طاهر بن محمد. (1403هـ). *التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين*. لبنان: عالم الكتب.

الطبراني، سليمان بن أحمد.(د.ت). *المسند الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطحاوي، أحمد بن محمد. (1415هـ). *شرح مشكل الآثار*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

الطوسي، محمد بن الحسن. (1981م). *الأمالي*. تحقيق: محمد صادق، مؤسسة الوفاء.

الطوسي.(د.ت). *تهذيب الأحكام*. دار التعارف للمطبوعات.

ابن عاشور، محمد الطاهر.(1984م). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (1412هـ). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. بيروت: دار الجيل.

علي بن الحسين الأصبهاني. (د.ت). *مقاتل الطالبين*. بيروت: دار المعرفة.

العبّاد، عبد المحسن. (2001م). *فضل أهل البيت وعلو مكانتهم*. ط1، الرياض: دار ابن الأثير.

علي بن عيسى الإربلي. (1985م). *كشف الغمة في معرفة الأئمة*. دار الأضواء للطباعة والنشر.

العمادي، أبو السعود. (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفيروز آبادي، أبو طاهر.(2005م). *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القرافي، أحمد بن إدريس.(د.ت). *الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)*. عالم الكتب.

القرطبي، محمد بن أحمد. (1384م). *الجامع لأحكام القرآن*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القرطبي، يوسف بن عبد الله. (1417هـ). *الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب*. السعودية: أضواء السلف.

القمي، الشيخ عباس. (د.ت). الكنى والألقاب. طهران: مكتبة الغدير.

الكاشاني، الموسى محسن الفيض. (1415هـ). تفسير الصافي. ط3، منشورات مكتبة الصدر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر.(1420هـ). *تفسير القرآن العظيم*. دار طيبة للنشر والتوزيع.

الكليني (329هـ)، *الكافي*، مركز بحوث دار الحديث.

الألوسي، محمود بن عبد الله. (1415هـ). *روح المعاني*. بيروت: دار الكتب العلمية.

المجلسي، محمد باقر. (1403هـ). *بحار الأنوار*، مؤسسة الوفاء.

مسلم، مسلم بن الحجاج. (د.ت). *المسند الصحيح المختصر*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصعب بن عبد الله الزبيري. (د.ت). *نسب قريش*. القاهرة: دار المعارف.

المفيد. (1414هـ). *الإرشاد في معرفة حُجَج الله على العباد*. بيروت: دار المفيد.

أبو منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. (1977م). *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية*. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

ابن منظور، محمد. (1414هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

النسفي، عبد الله بن أحمد. (1419هـ). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. بيروت: دار الكلم الطيب.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. (1986م). *دلائل النبوة*. بيروت: دار النفائس.

الهيثمي، علي بن أبي بكر. (1414هـ). مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد*. تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي.

الهيتمي، أحمد بن محمد. (1417هـ). *الصواعق المحرقة*. لبنان: مؤسسة الرسالة.